

## رِحْلَةٌ إِلَى الْفِصْحِ

تَبْدَأُ الرَّحْلَةَ إِلَى الْفِصْحِ مُنْذُ أَنْ طُرِدَ الْإِنْسَانُ مِنْ أَمَامِ وَجْهِ اللَّهِ بِسَبَبِ الْمَعْصِيَةِ . وَالْيَوْمَ تَنْطَلِقُ مُنْذُ مَعْمُودِيَّتِنَا وَتَنْتَهِي عَلَى الصَّلِيبِ ، فِي الْمَوْتِ ، لَا بَلَّ فِي الْقِيَامَةِ الْمَجِيدَةِ ، فِي فِصْحٍ لَا يَنْتَهِي ... .

لَقَدْ دُعِينَا مَسِيحِيَّيْنَ ، لِأَنَّنا مِنْ أَتْبَاعِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ ، مِنْ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ ، بِتَعَالِيهِ وَمَسِيرَتِهِ الْخَلَاصِيَّةِ ، لِأَنَّنا قَدْ خُتْمْنَا بِاسْمِهِ بِرُوحِهِ الْقُدُّوسِ مُنْذُ الْمَعْمُودِيَّةِ . وَفِي الْمَعْمُودِيَّةِ اقْتَبَلْنَا الْمَوْتَ مَعَهُ تَحْتَ الْمِيَاهِ لِنَحْصَلَ عَلَى قِيَامَةٍ أَبَدِيَّةٍ مَعَهُ .

هَلْ كَانَ الْمَسِيحُ يَسُوعُ فِي مَسِيرَتِهِ الْخَلَاصِيَّةِ هَذِهِ دُونَ أَلَمٍ ، صَلِيبٍ ، أَوْ مَوْتٍ ؟ وَلِمَاذَا نُرِيدُ نَحْنُ الْمَسِيحِيَّيْنَ أَنْ نَسِيرَ إِلَى الْفِصْحِ دُونَ آلامِ الصَّلِيبِ وَمَوْتِهِ ؟ لَيْسَ التَّلْمِيذُ أَفْضَلَ مِنْ مَعْلَمِهِ . وَلَيْسَ مِنْ طَرِيقٍ إِلَى الْمَجْدِ إِلَّا وَاحِدَةٌ : طَرِيقُ الْجُلُجَّةِ . أَمَّا الطَّرِيقُ الْأُخْرَى فَتُبْقِيكَ فِي دَوَامَةِ الْجُلُجَّةِ إِلَى مَا لَا نِهَآيَةَ .

رِحْلَةٌ تَخْتَلِفُ عَنْ غَيْرِهَا لِأَنَّهَا مُمَيَّزَةٌ . رِحْلَةٌ زَمْنِيَّةٌ - أَبَدِيَّةٌ ، لَهَا بَدَايَةٌ وَلَيْسَ لَهَا نِهَآيَةٌ . طَرِيقُهَا خَطِرَةٌ ، وَعِرَةٌ ، صَعْبَةٌ وَشَاقَّةٌ . خَطِرَةٌ لِأَنَّهَا مَزْرُوعَةٌ بِفِخَاخِ الْأَعْدَاءِ غَيْرِ الْمَنْظُورِينَ ؛ وَعِرَةٌ لِأَنَّ فِيهَا حِجَارَةً تُغَيِّرُ تَقْدَمَكَ ، إِنَّهَا مُعْرِيَاتُ الدُّنْيَا وَمَعَاثِرُهَا ؛ صَعْبَةٌ لِأَنَّهُ لَا يَسْلُكُهَا إِلَّا مَنْ كَانَ عِنْدَهُ إِرَادَةٌ فُولَادِيَّةٌ وَإِيمَانٌ ثَابِتٌ كَالْحِبَالِ وَرَجَاءٌ لَا يَخْزِي ؛ شَاقَّةٌ لِأَنَّهُ لَا يَعْبُرُهَا إِلَّا الْمُجَاهِدُونَ ذَوُو الصَّبْرِ الَّذِي لَا يَنْتَهِي ...

رِحْلَةٌ مُمَيَّزَةٌ لَا تَحْمَلُ فِيهَا " ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً وَلَا نُحَاسًا فِي جَنْبِكَ وَلَا مِرْزُودًا لِلطَّرِيقِ ، وَلَا تَوْبِينَ وَلَا أَحْذِيَةَ وَلَا عَصَا ... " (متى 10 : 9) . لَنْ تَحْمَلَ فِيهَا سِوَى صَلِيبِكَ ، آدَاةِ مَوْتِكَ ، لَا بَلَّ آدَاةِ مَجْدِكَ .

تَحْمِلُ صَلَيبِكَ لِأَنَّهُ الْمَرْكَبَةُ الْوَحِيدَةُ الْمَسْمُوحُ بِهَا فِي هَذِهِ الرَّحْلَةِ ، وَالْعَجِيبُ أَنَّكَ تَحْمِلُهَا أَنْتَ وَتَسِيرُ ، هِيَ لَنْ تَحْمِلَكَ إِلَّا مَتَى وَصَلْتِ إِلَى الْجُلُجْلَةِ ، مَكَانِ الْمَوْتِ ، لَا بَلْ مَكَانَ الْإِقْلَاعِ إِلَى الْفِصْحِ الْأَبَدِيِّ .

حَمْلُ الصَّلِيبِ أَمْرٌ أَسَاسِيٌّ فِي هَذِهِ الرَّحْلَةِ ، لِأَنَّكَ عَلَيْهِ تَمُوتُ عَنِ الْعَالَمِ ، عَالِمِ الشَّرِّ وَالْخَطِيئَةِ ، تَصَلُّبُ عَلَيْهِ شَهَوَاتِكَ فَتُبْطِلُهَا وَخَطَايَاكَ فَتَقْتُلُهَا . سَوْفَ تَتَلَقَى جَلَدَاتٍ خَفِيَّةً تُثَخِّنُكَ جِرَاحًا ، وَالْجَلَادُ هُوَ كُلُّ رَغْبَةٍ فِيكَ تُغْوِيكَ لِلشَّرِّ ، فَإِذَا صَبَرْتَ عَلَى حَمْلِهَا وَلَمْ تَقَعْ فِيهَا ، كَانَتْ جِرَاحُكَ عِلَامَاتِ اسْتِشْهَادٍ حَقِيقِيَّةٍ تُعَلِّقُكَ فِي الْمَجْدِ . سَوْفَ تَنْزِفُ دَمًا ، لَا تَخَفْ ، إِنَّهَا مَعْمُودِيَّتُكَ الْأَخِيرَةُ الَّتِي تُفْرِحُ سَيِّدَكَ . ثُوبُكَ الْمُخَضَّبُ بِدَمِ شَهَادَاتِكَ ، هُوَ ثُوبُ مَلِكِ الْمَلُوكِ وَرَبِّ الْأَرْيَابِ ، ثُوبُ الْخَلَاصِ .

وَفِي مَسِيرَتِكَ هَذِهِ ، عِنْدَمَا تَرَزُّحُ تَحْتَ صَلَيبِكَ ، لَنْ تَجِدَ كَنَفَ أَبِي الْإِسْكَانْدَرِ وَرُفُوسَ يُسْنِدِكَ ، وَلَكِنْ كَنَفَ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ، الَّذِي يَسِيرُ إِلَى جَانِبِكَ يُشَدِّدُكَ كَمَا تَتَابَعُ الْمَسِيرَ .

وَفِي جِهَادِكَ هَذَا تَسَلِّحُ بِالصَّوْمِ ، لِأَنَّهُ سِلَاحٌ جِبَارٌ تَقْهَرُ بِهِ شَهَوَاتِكَ الْمُخْزِيَّةَ . تَسَلِّحُ بِالصَّلَاةِ لِأَنَّهُ سِلَاحٌ تَجَلُّدُ بِهِ مَحَارِبِيكَ فَتُهْلِكُهُمْ . الصَّوْمُ يَحْمِلُكَ بِأَجْنَحَةِ مَلَائِكِيَّةٍ إِلَى الْأَعَالِي ، وَالصَّلَاةُ تُثَبِّتُكَ هُنَاكَ فِي عِشْرَةِ اللَّهِ . الْجَسَدُ يَصُومُ وَالذَّهْنُ يُصَلِّي ، هَذَا جِهَادٌ مَلَائِكِيٌّ لَا يُمَارِسُهُ إِلَّا عِشَاقُ اللَّهِ .

الْجَسَدُ يَصُومُ ، وَالصَّوْمُ أَيْقُونَةُ الْمَوْتِ عَنِ اللَّذَّةِ وَالْخَطِيئَةِ ، الْمَوْتُ عَنِ عَالِمِ الدُّنْيَا ، هَذَا هُوَ فِعْلُ الصَّلْبِ . الذَّهْنُ يُصَلِّي ، وَالصَّلَاةُ أَيْقُونَةُ الْحَيَاةِ الْحَقَائِقِيَّةِ الَّتِي مَصْدَرُهَا اللَّهُ نَفْسُهُ ، إِنَّهَا حَيَاةٌ إِلَهِيَّةٌ دَافِنَةٌ وَمُفْرَجَةٌ .

وَبَيْنَ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ ، بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ ، وَأَنْتَ هُنَاكَ عَلَى الصَّلِيبِ تَحْمِلُ جِرَاحَاتِ جِهَادَاتِكَ ، أَيَقْوَنَةَ  
آلَمِكَ الْمُخَضَّبَةَ بِدِمَاءِ تَضْحِيَاتِكَ ، يَسْقُطُ عَلَى هَامَتِكَ إِكْلِيلُ الْغَلْبَةِ مِنْ فَوْقِ ، فَتَلْفُظُ أَنْفَاسَكَ لِتَعْبُرَ فِي  
نَهَايَةِ رِحْلَتِكَ إِلَى فِصْحِ أَبَدِيٍّ مَعَ الْمَسِيحِ الْقَائِمِ إِلَى الْأَبَدِ .

الأب جاورجيوس مثنى

نَهْرَ بَسْنَكُنَا فِي 17 - 3 - 2010